العرب اكتشاف ذاتهم وهويتهم من جديد ، واستكشاف مكامن قوتهم ، وامكانيات وحدتهم وحلقات تكاملهم .

ويبدو ان حرب تشرين قد حطمت ، في الواقع ، اسطورة ان العرب لا يستطيعون القتال بصورة عصرية وفعالة ، كما حطمت اسطورة ان العرب منقسمون على انفسهم الى الدرجة التي تحول دون قيامهم بأي عمل مشترك ذى تأثير وفعالية .

وبعد الاف السنين من السيطرة الاجنبية ، والسنوات الاخيرة من الهزيمة والمهانة على ايدي الاسرائيليين ، يبدو الامر وكأنه قد اصبح من الممكن ان يستعيد العرب ثقتهم بأنفسهم ، وان يستردوا كرامتهم القومية .

ويبدو ان حرب تشرين قد برهنت على ان الامة العربية « الضعيفة والمفككة » قد استطاعت ، في لحظة تاريخية نضالية ، ان تضم صفوفها لكي تخوض ما اصبح هناك اجماع على وصفه بأنه « حرب حديثة كفؤة » ، وان تخلق مصاعب لاقتصاد العالم الصناعي بضغط بترولي .

ونتيجة لبروز هذه القدرة العسكرية — الاقتصادية للعرب ، فان القوى المعادية وفي مقدمتها الولايات المتحدة واسرائيل ، سارعت بمحاولة احتواء هذه القدرة ، واستخدمت في هذه المحاولات حتى الان كافة الوسائل الصراعية ، من دبلوماسية « الخطوة — خطوة » الكيسنجريه الى التهديد المبطن بالغزو . واستطاعت — حتى الان — ان تجمد القدرة القتالية العربية ، او على الاقل ان تجمد القدرة العربية على الاختيار القتالي . كما استطاعت بوسائل اكثر تعقيدا — ان تحتوي القدرة العربية الاقتصادية ، وخاصة القدرة النفطية . ومن ثمة ، بدا هذا التخلي السريع والغريب عن اهداف حرب تشرين والصراع التاريخي بين القومية العربية والصهيونية ، والتخلي عما كان يوصف بأنه « العناد » النفطي . كما أدى الى دخول الولايات المتحدة الى حلبة الصراع بصورة مباشرة .

ومن المؤسف ، ان بعض القوى العربية الحاكمة وصاحبة القرار والتأثير ، قد لعبت دورا رئيسيا في الوصول الى مثل هذه النتائج المضادة لاهداف القتال والتضحيات الاصيلة ، وذلك ضمن محور يضم بصورة رئيسية مصر والسعودية وايران .

*

على أن النجاح النسبي في الحرب والبترول ، والتراجعات والتخليات التالية ، ولدت العديد من المتناقضات الجديدة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، اصبحت تحتاج الى تحليلات واسعة وعميقة .

واذا اردنا ان نحدد بصورة عامة نمط المتناقضات الجديدة ، فمن الممكن ان نقول انها متناقضات اكثر استقطابا واكثر حدة بين الدول العربية بعضها بعضا ، وداخل كل دولة عربية ، وعلى طول وعرض المجتمع العربي كله .

ان النجاح النسبي في حرب تشرين ، خلق امان جديدة عند جماهير العرب ، وزاد من حدة التناقض بين الابنية العليا للنظم والهياكل القاعدية للجماهير ، الامر الذي أسفر عن نشوء بدايات لحركة جماهيرية عربية ، سواء على المستوى القطري أو المستوى القومي العام ، ذات اشكال تنظيمية جديدة واساليب نضال غير تقليدية .

كذلك ، فان من الممكن ان تكون التغيرات النفسانية الايجابية ، والتحولات السياسية السلبية ، ومحاولات الانحراف والردة العديدة ، بداية لتوليد روح جديدة للوحدة العربية ، وللثقة المتبادلة ، خاصة بين الذين قاتلوا جنبا الى جنب ، وشاركوا